تقنيات الحِجاج في البلاغة اليونانية القديمة
مقاربة لمشروع: السفسطائيين وأفلاطون وأرسطو

شعبان أمقران
جامعة باجي مختار -عنابة -الجزائر
chokomoko2017@gmail.com

حفيظة روابنية
الشعريات وتحليل الخطاب

تاريخ الاستلام: 2018/12/05 تاريخ القبول: 2019/05/06

الملخّـص

ينـدرج هـذا البحـث في سـياق الكشـف عـن تقنيـات الحِجـاج في البلاغـة اليونانيـة القديمـة، وذلـك مـن منظـور مجموعـة مـن التيـارات الفلسـفية البـارزة آنـذاك، والمتمثلـة في: الحركـة السفسـطائية وأفلاطـون وأرسـطو، باعتبارهـا اللّبنـات الأولى التـي أرسَـت معـالم الـدرس الحجاجـي –الغـربي والعـربي- الحديـث، الـذي أعـاد بعـث أفكارهـا في ثـوب البلاغـة الجديـدة، وذلـك انطلاقـا مـن آرائهـا وطروحاتهـا المتعلقـة بمفهـوم الخطابـة والجـدل ووظائفهـما كـما يهـدف البحـث إلى الكشـف عـن تجليـات الممارسـات الحجاجيـة لهـذه التيـارات وآليـات أدائهـا، ويكشـف عـن أهـم الفـروق بـين توجهاتهـا، وذلـك مـن خـلال مقاربـة جملـة مـن المفاهيـم المتعلقـة بالموضـوع.

الكلمات المفاتيح:

حِجاج - بلاغة يونانية - سفسطائيون - أفلاطون - أرسطو.

المؤلف المراسل: شعبان أمقران، البريد الالكتروني: chokomoko2017@gmail.com

Techniques d'argumentation dans la rhétorique grecque antique Approche de projet: Les sophistes, Platon et Aristote

Résumé

Cette recherche examine les techniques d'argumentation dans la rhétorique grecque antique, du point de vue des différents mouvements philosophiques importants de l'époque, à savoir: le mouvement des sophistes, Platon et Aristote, qui ont défini les propriétés déterminantes d'une nouvelle argumentation aussi bien occidentale et arabe basée sur ses points de vue et suggestions concernant le concept de discours, de débat et leurs fonctions. Cet article vise également à révéler les pratiques et manifestations argumentatives de ces mouvements philosophiques et les différentes orientations de ces mouvements.

Mots clés:
Argumentation - rhétorique grecque - sophistes - Platon - Aristote.

Argumentation's Technics in the ancient Greek rhetoric an approach to: Sophists, Plato and Aristotle project

Abstract

This research work investigates the characteristics of argumentation in the ancient greek rhetoric, from the perspective of different prominent philosophical movements at that time namely: the Sophists movement, Plato and Aristotle, that set up the defining properties of new argumentation in both Western as wall as Arabic rhetoric based on its views and suggestions concerning the concept of discourse, debate and their functions, this paper aims also at uncovering the argumentative practices and manifestations of these philosophical movements and the different orientations of these movements.

Keywords:
Argumentation -greek rhetoric - sophists - Plato - Aristotle.

مقدمة

تعود الدراسة الحجاجية -كغيرها من المباحث الإنسانية- إلى العصور القديمة، فقد بدأت دراسة موضوع الحجاج والبحث فيه منذ بداية الحضارة اليونانية والرومانية، وقد مرّ الدرس الحجاجي في الثقافة الغربية القديمة بمراحل تخلّلتها انكسارات، وفترات ركون إلى أن وُلد من جديد في العصر الحديث (فيليب، وجوتييه، 2011، ص13) وقد ارتبط مفهوم الحجاج قديما بحقل البلاغة والخطابة، وفن الإقناع، وغالبا ما اندمج بالجدل والمناظرة وغيرها، يظهر ذلك من خلال التتبع التاريخي لموضوع الحجاج منذ نشأته قديما، فقد تعرّض الفلاسفة اليونانيون أمثال كوراكس وسقراط وأفلاطون، ومَن بعدهم كالسفسطائيين وأرسطو لمعنى الحجاج، ووضعوا له الأسس الأولى من أساليب حجاجية -لما له من أهمية بالغة في فن التحدث وإقناع العامة-، وقد أصبحت هذه الأسس من أهم مكونات العملية الحجاجية لمن جاء بعدهم. ومنه يطرح البحث الإشكالية التالية:

- ماهي أهم تقنيات الحجاج في البلاغة اليونانية القديمة عند أبرز تياراتها الفلسفية؟

- ما مفهوم الخطابة عند كلّ من: الحركة السفسطائية، وأفلاطون، وأرسطو؟ وما مدى ارتباطها بالحجاج والوظيفة الإقناعية؟

- كيف تجلّت الممارسات الحجاجية لهذه التيارات وآليات أدائها؟ وما هيأهم الفروق بين توجهاتها؟

للإجابة عن هذه التساؤلات، اعتمد الباحث المنهج التاريخي لكون الدراسة تخصّ البذور الأولى لنشأة الدرس الحجاجي عند هذه التيارات، كما اعتمد كذلك المنهج الاستقرائي والوصفي لحاجة الموضوع المدروس لذلك وطبيعته. وتهدف الدراسة إلى الكشف عن خصائص الخطاب الإقناعي في البلاغة اليونانية القديمة، عند أهم هذه التيارات الفلسفية في تلك الحقبة من تاريخ الحضارة اليونانية، لِما عرفته أثينا آنذاك من ثورة ديموقراطية بعد أن عاشت عقودا من الاستبداد، هذه الديموقراطية

أعطت الكلام حرية ودورا كبيرا في المرافعات القضائية والمطالبة بالحقوق، وساهمت في خلق فضاء اجتماعي جديد كان مجالا خصبا للتعبير عن التصورات الفلسفية والمذاهب الفكرية، عن طريق توسّل البلاغة الإقناعية والخطابة الحجاجية، وفيما يلي عرض لبعض ما تناولته هذه التيارات.

1. الحجاج عند السفسطائيين: Les sophistes

1.1. تعريف الحركة السفسطائية

السفسطائية حركة "فلسفية وظاهرة اجتماعية برزت في القرن الخامس قبل الميلاد، وقد تميز روادها بالكفاءة اللغوية البلاغية وبالخبرة الجدلية، ويتجلى ذلك من خلال تسميتهم التي كانت تعني الحكيم الخبير بكل فن وأسلوب (محمد سالم، 2008، ص24)، وقد ظهرت مع بروز النثر الفني الذي ميز الحياة الأثينية آنذاك، في ظروف احتدم فيها النقاش الفلسفي المنطقي والجدلي والخطابي بين الفُرَقاء، حيث كان لوجود السفسطائيين الدور البارز في تطوير الحياة الفكرية اليونان بصفة عامة والبلاغة بصفة خاصة، ويبرز الجانب المهم في الدراسة الحجاجية لهذه الحركة في "تلك المنازعات التي كانت بين الفلاسفة (أفلاطون وأرسطو) وبين السفسطائيين، التي تستدعي صور الحجاج بوسائله وآلياته (حشاني، 2014، ص21).

2.1. الخطابة والحجاج عند السفسطائيين

اهتم السفسطائيون بالخطابة اهتماما بالغا واستولوا عليها محاولين في ذلك فرض آرائهم ورؤاهم على الجمهور الأثيني، واكتسحوا بها أغلب فضاءات الفكر والاجتماع، وذلك باعتبارها أداة للتمويه والخداع والإقناع، واستهواء الآخر عن طريق التأثير في مشاعره واللعب بأحاسيسه، لكونهم يؤمنون بقوة القول وسلطته كما يقول جورجياس Gorgias -أحد أعلام السفسطائية- في دفاعه عن الخطابة وقوة تأثيرها وإقناعها : "الخِطاب جبّار جد قوي" (Le discours est un tyran trés puissant) (Reboul, 2001, p. 17)، فالقول الخطابي عندهم يفوق كل المعارف البشرية بما يمتلكه من فعالية وفاعلية في المجتمع، وبما يرسّخ من اعتقادات

وحـرّك مـن سـلوكيات، هـذه القـوة هـي التـي تبنـي حضـارة، يقـول جورجيـاس في هـذا السـياق محـاورا سـقراط: "إن ترسـانات أثينـا وأسـوارها وتنظيـم موانئهـا إنمـا هـي تَديـنُ جزئيـا لنصائـح ثيميسـتوكليس مـن ناحيـة، وجزئيـا لنصائـح بِريكليـس، ولا تديـن قـط بذلـك لرجـال المِهـن (platon,et al.,1967,p,181) Ces arsenaux et ces remparts d'Athènes et l'organisation de ses ports sont dus en partie aux conseils de Thémistocle, en partie à ceux de Périclès, et non à ceux des hommes de métier، فالخطابـة في نظـر السفسـطائيين هـي صـدر الصنائـع الإنسـانية وهـي الصانعـة للإقنـاع، وهـي التـي تحـرك الأفعـال في المتلقـي، وبالتـالي فالسفسـطائية حركـة حجاجيـة بالدرجـة الأولى، ولكنـه حجـاج عَـدَل عـن معنـى الجـدل بالحجـج مـن أجـل الانتصـار إلى جـدل قائـم عـلى التمويـه والمغالطـة والقيـاس الخاطـئ، مـن أجـل التضليـل والتغليـط وتحقيـق السـلطة عـلى المجتمـع، والغلبـة عـلى الخصـوم والتأثـير في مشـاعرهم وعواطفهـم، وتشـكيل الـرأي العـام دون اعتبـار للحـق أو الباطـل، فقـد كان "السفسـطائي مثـل كل الآخرين-بروديكـوس وترازيمـاك وهيبياسـوكريتياس- معلّـما يتنقـل مـن بلـدة لأخـرى لإعطـاء دروسـه في الخطابـة والفلسـفة، بحيـث كان يحصـل عـلى راتـب يومـي خـرافي، ربمـا قـارب مجمـوع رواتـب عـشرة آلاف عامـل مقابـل حصصـه التعليميـة" (Reboul, p.18) Le nom de sophiste, comme tous les autres - Pro- tagoras ,Prodicos, Thrasymaque, Hippias, Critias, etc.. - il fut un professeur, donnant de ville a ville ses leçons d'éloquence et de philosophie, leçons pour chacune desquelles il demandait le salaire fabuleux de 100 mines، فقـد كانـوا يعلمـون أبنـاء الأثريـاء الفصاحـة والبلاغـة ليجعلـوا منهـم " خطبـاء قادريـن عـلى إقنـاع النـاس واسـتهوائهم آنـاً بالباطـل وآنـاً بالحـق، كيـما يفـوزوا بمناصـب الدولـة وبِبُعـد الصّيـت، وكيـما يسـتطيعوا أن يدافعـوا عـن أنفسـهم ويـبرروا سـلوكهم إزاء هجـمات الخصـوم والمنافسـين، وأمـام القضـاة والجماهـير (أفلاطـون، 1970، ص5)، لقـد مـارس السفسـطائيون الحجـاج معتمديـن في ذلـك عـلى آليـات الإقنـاع والتأثـير في المشـاعر،

وقد تجسدت هذه الممارسة من خلال الجدل والخطابة ووسائل الإقناع، يقول جورجياس: "إن الخطابة في غنى عن معرفة ما هي الأشياء التي تتحدّث عنها، إنها قد اكتُشفت مقوِّما صالحا للإقناع، والنتيجة هي أنه أمام جمهور من الجهلة تبدو وكأنها تعرف أكثر ما يعرفه العارفون (مشبال، 2014، ص56)، وكان منهجهم معتمدا على التمويه والتضليل والقياس الخاطئ وما يخالف المشهور، دون التقيد بمبادئ القيم والأخلاق ولا ميزان الحق والباطل، ولا الحقيقة ولا ضوابط الحوار أو القيود العلمية، بل بحسب ما يخدم مصلحتهم ويحقق أهدافهم وأغراضهم، فقد آمن السفسطائيون بنسبيّة الحقيقة والابتعاد عن المثال المرجعي الثابت، أو اليقين الراسخ والمسلّمات المشتركة ما دام مقياس الحق والباطل، ومقياس كل شيء هو ما يراه الإنسان -كما عبّر بروتاغوراس في مقولته الشهيرة: "الإنسان هو مقياس كل شيّ" (أفلاطون، وفايدروس، 2000، ص5)، ومعلوم أن رؤية الإنسان تختلف، فالخطيب السفسطائي بقدرته أن ينصر الحق وكذلك الباطل، موسّعا بذلك دائرة الشك ومشغّلا مجال الاحتمال والممكن، فتصبح بذلك جميع الأقوال مبنية على الظن ما دامت هناك حرية للرأي والاختلاف، وبالتالي فكل شيء قابل للنقاش.

3.1. التقنيات الحجاجية في الخطابة السفسطائية

لقد اعتمد السفسطائيون في حجاجهم على مجموعة استراتيجيات إقناعية نذكر منها ما كشفه أرسطو في نقده لهم في كتابه "Les réfutations sophistiques" فذكر أن لحجاجهم خمسة طرق وأهداف:

1.3.1. "التبكيت (Réfutation)

هو الإيقاع في الخطأ والدفع إلى مخالفة المشهور، واستعمال صيغ لغوية غير مألوفة (Solécisme)، ودفع المجيب إلى الكلام الفارغ (Verbiage) وذلك بإرغامه على أن يكرر الأمر نفسه مرات عديدة (الريفي، والحجاج، 1998، ص228). فالتبكيت أو المباكتة السفسطائية هي استدلال بقياس خاطئ يظن المتلقي أنه صحيح، أو نقيض يعتقد أنه نقيض وهو ليس كذلك، أو مقدمة تبدو صادقة وهي في الواقع

كاذبة.. وبالتالي الاعتماد على آليات المغالطة الدلالية المتنوعة، والتلاعب بالمقدمات، كل ذلك بما يوافق مآرب السفسطائي.

2.3.1. تناقض الأفكار

وذلك بأن كل ما يطرح من أفكار وآراء ومواضيع، فهي قابلة للمعارضة لكونها نسبية ومحتملة، وبذلك تكون مفتوحة للنقد والنقاش والدفاع عنها أو نقيضها.

3.3.1. التعدد الوظيفي للخطاب

قصد التضليل والتغليط، بأن يحتجّ السفسطائي بحجة تكون مقبولة لدى المتلقي في ظاهرها وهو يريد بها غرضا باطنا خفيا، وذلك ليفقد الخطاب مقاصده ويدخل الشك والحيرة في قلب محاوره، و"ستُسمّى هذه الحجج بالسفسطة وستصبح السفسطائية تخصصا دراسيا يعين على إظهار المحاسن أو المساوئ في كل موضوع يمكن للعقل أن يقوم فيه بالمزايدة" (ليونيل، وبوركي، 2004، ص34).

4.3.1. مبدأ الاختلاف

يقوم الحجاج عند السفسطائيين أيضا على مبدأ الاختلاف ومخالفة المشهور بهدف استمالة المتلقي وإذعانه والتأثير في سلوكه، فالأفكار التي أتى بها السفسطائيون كتحقيق النفعية واللذة أفضت بهم إلى توجيه الحجاج بحسب مقتضى المقام الذي يدور فيه الحوار، وذلك بتوظيف سلطة القول وفكرتي التوجيه Orienta-tion والتوظيف Fonctionnement، هذه محطات سيكون لها دور بنائي في معظم البحوث الحجاجية المعاصرة (ينظر: محمد سالم، ص27).

5.3.1. مبدأ "تعارض الأصوات(بلانتان، 2010، ص12)

يتبين من خلال الممارسات الحجاجية للسفسطائيين أنهم يعتمدون على مبدأ تعارض الأصوات بمعنى أن كل خطاب يمكن أن يعارض بخطاب آخر مناقض له، وكل حجة يمكن أن تضادّ بأخرى معارضة لها، وذلك لوجود أكثر من وجهة نظر للموضوع أو القضية.

6.3.1. اشتغال المحتمل

يعتمد السفسطائيون في حجاجهم كذلك على تشغيل المحتمل وتوسيع دائرته، وذلك بتوليد قضايا واحتمالات متعددة تنتج عنها مفارقات من نوع جديد، وكمثال من سلوك الناس:

1. من الأرجح أن يكون القوي هو الذي هاجم الضعيف (احتمال من مستوى 1).
2. لكن بما أن الضعيف يعرف بمقتضى 1 أن الشكوك ستحوم حول القوي (الذي عليه أن يتحمل عبء إقامة الحجة) ← إذن: -3 فالضعيف هو الذي هاجم القوي (احتمال من مستوى 2).

وهكذا دواليك، فمن المحتمل الآن أن القوي هو الذي هاجم الضعيف طبقا لاحتمال من مستوى ثالث (بلانتان، 2010، ص14).

7.3.1. القياس المغالط

يستغل السفسطائيون ميوعة اللغة ومرونتها كما يشاؤون، وذلك لما تتميز به من مطاوعة تجعلهم يستعملون حجاجا من نوع تهكمي وساخر فاقد للجدية، يضع المتلقي صاحب الحس السليم في حيرة من أمره، وذلك بأن يستعمل السفسطائي مقدمتين صادقتين واضحتين ويجعل بينهما وبين النتيجة علاقة ملازمة ومفارقة محرجة، يدرك المتلقي في نهايتها أنه أمام سفسطة وقياس خاطئ يخالف أفق توقعه بل واقعه ! وكمثال على ذلك:

"– هذا الكلب لك فهو كلبك.

- لهذا الكلب صغار فهو أب.

- فهو أب وهو لك ← فهو إذن أبوك! (بلانتان، 2010، ص14).

إضافة إلى أن هذه الحركة قد أسهمت في نهوض الدرس الحجاجي من خلال ما قدمت له من إضافات وإسهامات يلخّصها حمّادي صمود في:

-" القول بتضاد الأصوات (Antiphonie): بمعنى أن لكل خطاب خطابًا مضادًا

ولـكل حجـة حجـة تنقضهـا.

- التنبيـه إلى مـا قـد يرشَّـح عـن الأقيسـة مـن أغاليـط وضرورة بنـاء نظـام الجـرح والقيـاس وتعديلـه، وذلـك بزرعهـم الحـيرة والمفارقـة في المشـهورات، وهـذه الشـعبة مـن الـدرس سـتزدهر فيـما يسـمى بالبرالوجيسـم أو القيـاس المُغالِطـي.

- رسمهم مفهوم الاحتمال أفقا لتعامل الناس وتفاعلهم مع بعضهم.

- إتقانهـم المجادلـة وكل صنـوف المحـاورات التـي تقـوم عـلى الاسـتدلال المنظـم بقواعـد مضبوطـة (صمـود، ص45).

4.1. الانتقادات الموجهة للحجاج السفسطائي

إن تلـك الاسـتراتيجيات والممارسـات التـي اتسـم بهـا حجـاج السفسـطائيين، قوبلـت بنقـد لاذع مـن قبـل أرسـطو وأفلاطـون في كثـير مـن المسـائل وعـلى نطـاق واسـع، ذلـك لأن تقنياتهـم تنبنـي عـلى المغالطـات والتلاعبـات والقياسـات الخاصـة المخالفـة للتوقـع.

1.4.1. انتقادات أفلاطون

حـاول أفلاطـون -مـن خـلال نظريتـه في المُثُـل- الوقـوف ضـدّ التيـار السفسـطائي لكونـه يقـوم عـلى مفاهيـم "ضـارة بالقيـم والأخـلاق واليقـين والإيمـان، تلـك القضايـا الأربـع التـي احتلّـت مكانـة كبـيرة في البلاغـة والفلسـفة الأفلاطونيتـين (محمـد سـالم الأمـين، ص26)، كـما أن عـداءه لهـذه الحركـة ناجـم عـن تخوفـه مـن السـلطة القوليـة القويـة التـي احتلتهـا، واعتـماد الخطبـاء السياسـيين عـلى آلياتهـا لامتـلاك أصـوات العامـة والحشـود عـن طريـق الخـداع والتمويـه، وبالتـالي وصولهـم إلى دواليـب الحكـم ومفاصـل الدولـة، بحيـث يتقـدم الجهلـة ويتأخـر الفلاسـفة الذيـن هـم أحـق بالمُلـك، والسفسـطائية -حسـبه- مـضرة بقيـم المجتمـع بعرضهـا عـلى المعيـار الأفلاطـوني (الحـق والخـير والحقيقـة)، فخطاباتهـم لا يهمّهـا معرفـة الأشـياء التـي تُحـدّث عنهـا لأن هدفهـا الإقنـاع، فهـي تبـدو أمـام جمهـور مـن الجهلـة كأنهـا تعـرف أكـثر مـما يعرفـه العارفـون (مشـبال، ص56)، أي إنهـا تولّـد الاعتقـاد لا المعرفـة، فهـي إذن نقـاش فـارغ لا طائـل مـن ورائـه سـوى إيهـام النـاس وتضليلهـم وإبعادهـم عـن الحقيقـة، لذلـك سيشـنّ

أفلاطون حملة على هذه الحركة الناشئة في المجتمع، و"سيناصبها العِداء معتبرا أن هذه الروح الجديدة باندفاعها وسريانها العام في الواقع الأثيني، هي بداية لإفلاس المجتمع ومن ثم لابد من إيقافها عبر نقدها والتشدد الأخلاقي والعقلي إزاءها (عادل، 2013، ص34).

2.4.1. انتقادات أرسطو

انتقد أرسطو السفسطائية في كثير من المسائل، خاصة ما تعلّق منها بطرق إنتاج الحجاج وآلياته وأهدافهم منه كالتبكيت والإيقاع في الخطأ ومخالفة المشهور، واستعمال صيغ لغوية غير مألوفة وغيرها من الأهداف، كما انتقد آلياتهم أثناء المناقشة كالمغالطات والإيهام والأقيسة الخاطئة المخالفة للتوقع، وجعلِ ما ليس بعلةٍ علةً، وذلك ليعرف الناس حيلهم ويكونوا بمنأى عن الوقوع في فِخاخهم وتوريطهم ومغالطاتهم.

2. الحِجاج عند أفلاطون (427 ق م347- ق م)

تنطلق الممارسة الحجاجية عند أفلاطون من عِدائه وصراعه مع الحركة السفسطائية، التي رفض تصوراتها وخَطابتها، وحاول تقويض سلطتها القولية داخل المجتمع الأثيني بعد أن أضحت مركز تحريك وتوجيه للرأي العام، فقد خشيَ أن تؤدّي إلى تخريب العدل حينما تُستخدم للإفلات من العقوبة، أو أن تُغَيِّرَ في أدوار أفراد المجتمع الأثيني أو بالأحرى المدينة الفاضلة التي يقول عنها أفلاطون: "أفلا ترى في دولتنا لهذا السبب دون غيرها من الدول أن الإسكافي إسكافي فقط، وليس ربُّاناً مع السِّكافة، والزّارع زارع فقط وليس قاضيا مع زراعته، والجندي جندي فقط وليس تاجرا مع جُنديّته" (أفلاطون، 1980، ص90)، وقد كان أفلاطون في ذلك مقتفيا أثر أستاذه سقراط الذي "ثار ضد السفسطائيين الذين زرعوا الشك والظن، ودافع عن الفلسفة باعتبارها المسلك العلمي الصحيح للوصول إلى الحقيقة (حمداوي، 2014، ص 14)، بدلا من السفسطة التي تقصد إلى تحقيق المتعة، فهو يَنشُدُ عالما مثاليا يسوده الخير والحق والفضيلة، ولذلك انبرى لهذه الحركة" مدافعا عن ثلاثة

مرتكزات هي النظام والعقل والحقيقة (عادل، ص34)، (ويمكن عرض منهج أفلاطون تُجاه الحجاج عامة من خلال المحاورات التي عقدها مع أشهر السفسطائيين، ونخصّ منها محاورتي (جورجياس وفايدروس)، "اللّتين تُعتبران من المصادر المركزية حتى لا نقول المصدر المركزي الأول في تاريخ البلاغة أو الخطابة في الغرب(مشبال، ص49). "فالمحاورة الأولى المسمّاة (جورجياس) -التي تعرّضت لمفهوم الخطابة- هي بمثابة مواجهة بين سقراط وجورجياس حول موضوع الخطابة، حين يسأل سقراط نظيره جورجياس عن تعريف الخطابة التي يعتبرها هذا الأخير" أعظم الأمور الإنسانية وأفضلها (أفلاطون، ص39)، ويَحُدُّها قائلا: "إنني أعني القدرة على إقناع المرء بواسطة الحديث: القضاة في محاكمهم، والشيوخ في مجالسهم، وفي الجمعية الشعبية، وكذلك في كل اجتماع آخر يجتمع فيه المواطنون (أفلاطون، ص40)، فمن هذا التعريف يستنتج سقراط أن جورجياس يجعل من الخطابة "عامل إقناع وأن كل جهده يتجه إلى ذلك وينتهي عنده (أفلاطون، ص40) فيُقِرّه جورجياس على ذلك، ثم إن سقراط يبيّن له أن الإقناع لا يقتصر على الخطابة وحدها، وأنه مرتبط أساسا بالتعليم كالإقناع التعليمي في علم الحساب وما يتصل بالأعداد، بحيث يرى أننا" مهما نُعلّم امرُؤاً من أشياء فإننا نقنعه بما نُعلّمه إيّاه" (أفلاطون، ص42)، بخلاف خطابة السفسطائيين-حسب سقراط-فإنها تُنتج إقناعَ اعتقادٍ لا إقناعَ عِلْمٍ، بحيث لا تصل درجة المعرفة التي هي خاصية العلم وحده، فالخطيب السفسطائي " لا يُعلّم في المحاكم والجمعيات العدلَ والظلمَ، وإنما هو يُكسبها رأيا، إذْ واضح أنه سيستحيل عليه في مثل هذا الوقت القليل أن يُعلّم جماهير عديدة كهذه مثل تلك الموضوعات العظيمة (أفلاطون، ص44)، ففي حين يزعم جورجياس أن الخطيب قادر على التكلم في أي موضوع و إقناع جمهوره أكثر من المختصين أنفسهم، وأنه "هو الذي سيجعل الناس يختارونه (في الانتخابات) دون غيره أيّا كان منافسه، ذلك أنه ما من موضوع إلا ويستطيع من يعرف البيان (الخطابة) أن يتحدّث فيه أمام الجمهور بطريقة أكثر إقناعا مما يستطيعه صاحب حرفة أيًّا كانت" (أفلاطون،

ص46)، لكن سقراط يردّ عليه بأن هذا الخطيب السُّفسطائي ليس من اختصاصه إبداء رأيه -إذا انعقدت جمعية- لاختيار أحد الاختصاصيين وأصحاب المهن، كاختيار أحد الأطباء أو أحد بُناة السّفن، لأنه " واضح أنه ينبغي علينا أن نُفَضّل في كل اختيار من هذا القبيل أمهر الناس في مهنته، وإذا كنا بصدد بناء الأسوار أو إقامة الموانئ ومستودعات الأسلحة فإننا سنأخذ برأي المهندسين.. (أفلاطون، ص45). بالتالي فإن الخطيب لا يُؤخذُ برأيه في هذه الاختيارات، وفي حين يدّعي جورجياس أن الخطيب أكثر إقناعا حتى من الطبيب أمام الجمهور ! يعترض سقراط على هذا الإقناع الخطابي عند السفسطائيين ويعتبره مستقلا عن العلم الحقيقي ولا يهدف إلى تحقيقه، بل يؤكّد على أن هذا الإقناع لا يتحقق إلا أمام الجمهور الجاهل بموضوع الخُطبة -أي أمام من لا يعرفون-، كما أنه يُقنعُهُم ولا يُعَلّمُهم، إذ إنه " مُحال تماما أن يكون الخطيب أكثر إقناعا أمام مَن يعرفون-فيما يمس الصحة- مِن الطبيب ! (أفلاطون، ص49)، فالخطيب الجاهل أمام الجمهور الجاهل هو الذي يتغلّب على العالِم وصاحب الاختصاص، كما يشترط سقراط على الخطيب أن يكون على علم بالعدل والظلم، والجميل والقبيح، والخير والشرّ، وأن يكون قد حصّل معرفة كافية وشاملة قبل الخوض في موضوعات الخطابة، وإلا استطاع أن يستعمل فنّه استعمالا ظالما، فقد عاب سقراط على السفسطائيين استخدام الخطابة لأجل تحقيق اللذة والمتعة والانشراح بعيدا عن خدمة القيم والفضائل وتوخّي الحقيقة والعدل، ووصف فنّهم هذا بأنه قبيح ورديئ ولا يُعنى بالأحسن ولا يهتمّ بالخير، وأنه "ليس بفنّ بل هو تجربة، لأنه ليس لديه لِما يُقدِّمُ مِن أشياء سببٌ قائمٌ على طبيعة الأشياء، وبالتالي لا يستطيع أن يربط بينها وبين عِللها (أفلاطون، ص58)، لذلك ينسبُه للتملّق والخداع، ويُشبّهه بالطهي والتّزيُّن، فهو كالطّهي" يزيّف الطب ويتظاهر بمعرفة الأغذية الأكثر ملاءمة (أفلاطون، ص49)، وكالتّزيّن الذي يخدع بالمظاهر والألوان والمنسوجات، فكذلك " السفسطة بالنسبة للتشريع كالتزيّن بالنسبة للرياضة البدنية، والبيان (الخطابة) بالنسبة للعدالة كالطهي بالنسبة

للطب (أفلاطون، ص49)، فهي أشياء لا تنفع الإنسان وإنما تُظهره بمظهر الصحة والسلامة فقط، كما يخلص سقراط إلى أن الغاية والفائدة الجمّة من الخطابة، تكمن في استخدامها لاتهام النفس حُبا في الجمال والخير كي تُكَفّر عن ظلمها، فلا بد على الخطيب أن يجعل هذا الأمر غايته الوحيدة وهي الاعتراف بالخطأ أمام القاضي ليتلقّى أسرع عقاب، وذلك لاستئصال مرض الظلم، فلا يُدافع عن نفسه ضد اتهامه بالظلم حين ارتكابه له، بل يكفّر عن ذنوب هو يخلّص نفسه من الظلم (أفلاطون، ص84)، وبالتالي من خلال حوار أرسطو لجورجياس ومن خلال آرائه هذه، يتبين أن هذه المحاورة مخصّصة للخطابة التي تكاد تشكّل موضوعها المركزي، بحيث تتعرض في هذه المحاورة إلى نقد لاذع إضافة إلى نقد السياسة لكونها تستفيد من الخطابة (مشبال، ص51) حيث يختفي أفلاطون في هذه المحاورة وراء قناع أستاذه سقراط ويتبنّى أقواله، إذن فهي مقالة في الرد على أهل البلاغة أو السفسطائيين الذين استخدموا الخطابة من أجل إثارة إعجاب الحشود بدلا من تحقيق العدل والخير، حيث أثار أفلاطون مسألة خطابتهم الإقناعية، وكشف عن الأسس التي تقوم عليها بالنظر إلى موضوعها وقيمها ووظيفتها، وقد فحص القول الخطابي بعرضه على نظرية المُثُل، بارتكازه على معاييره المثالية الصارمة (العلم والخير والحق) من وجهة نظر فلسفية، ولذلك نجده يميز بين نوعين من القول، قولٌ يقوم على الإقناع العلمي والفلسفة والحقيقة، ويقود إلى الحق والمعرفة والعدل، وهو من صنع الفلاسفة الحكماء، وقولٌ يُبنى على الإقناع الظني الملتبس بالزيف والتضليل والإيهام، فلا يُكسِب معرفة بل يقود إلى الاعتقاد الذي يبتعد عن الحقيقة والفضيلة ويرمي إلى تحقيق اللذة والمتعة عن طريق الخدعة، وهو من اختصاص السفسطائيين الذين يسعون "إلى كسب إعجاب الشعب ويضحّون بالنفع العام في سبيل نفعهم الخاص، ويعاملون الشعوب معاملة الأطفال، فهم يقصدون إلى كسب إعجابهم ولا تهمّهم معرفة هل كانوا بتلك الطرق يجعلونهم أحسن حالا أو أسوأ حالا ! (الريفي، ص65)، وبالتالي فأفلاطون يقصد إلى الحجاج الذي

يهدف إلى الحق والخير ويعتمد العقل والحقيقة، ويرفض الذي يرمي إلى المحتمل والظن واستهواء السامعين وإقناع الجاهلين بالموضوع، ومع ذلك فإن أفلاطون قد أعاد النظر في خطابة السفسطائيين وقرر إمكانية الإبقاء عليها مع إصلاحها بأن حدد لها شروطا، فقدّم بذلك مشروعا جديدا في صناعة الخطابة ليكون بديلا عن الحجاج السفسطائي المقوّض للمُثُل، فالخطابة عنده هي: "فن قيادة النفوس بواسطة الأحاديث" (أفلاطون، ص85) هي قول موجه للنفس يرتقي بها إلى أعلى مراتب الجمال والخير والفضيلة والأخلاق، ويحقق لها السعادة الحقة، فليس قولا " يتناول الظاهر لا الحقيقة ويقصد إلى تحقيق اللذة لا الخير (الريفي، ص64). -كما عند السفسطائيين-، ولذلك نجد أن أفلاطون في المحاورة الثانية (فايدروس) -التي تنطلق من محاورة جورجياس وتتناول موضوعي الحب والخطابة-، كان موضوعها هو دراسة الخطابة في عصره وأنواعها ثم نقدها واقتراح شروط جديدة لها، حيث يقدّم حجاجا بديلا ويقترح صناعة خطابة جديدة، تقوم على آليات محددة تلتزم التعبير عن الحقيقة والتوجه إلى الخير وترقية النفس الإنسانية، ومن بين هذه الآليات: اعتماد المنهج الجدلي، ومعرفة أنواع النفوس وطبيعتها وخصائصها، وكذا معرفة ما يناسب تلك النفوس من أقاويل مع مراعاة المقامات المختلفة التي ترد فيها تلك الأقاويل.

1.2. المنهج الجدلي

لقد أدرك أفلاطون استحالة دحض القول الخطابي ومنعه من المجتمع الأثيني، وعرف مدى خطورته وسلطته في توجيه الرأي العام، واقتنع بالإبقاء عليه مع إمكانية إصلاحه وتوجيهه توجيها فلسفيا يخدم نسقه المثالي، فاعتمد المنهج الجدلي الفلسفي الذي هو عبارة عن "خطاب علمي يتطلّع إلى جعل النفس ترقى إلى مرتبة كونية ("توبي"، 2014، ص53)، لينقل من خلاله الحجاج من دائرة الظن والاحتمال إلى دائرة العلم واليقين، فهو جدل يهدف إلى بناء المعرفة التي ترتقي إلى المُثُل وتوصل إلى الحقيقة، فالخطابة " التي يراها أفلاطون في فيدرة

Phèdre منضوية تحت مظلة الحقيقة، بحيث تكون النتائج العملية التي ينبغي التوصل إليها من دراسة الوقائع، نتائج تفرض نفسها على كل عاقل (صولة، 2011، ص16)، كما أن هذا الجدل مرتكز على فكرة المناقشة والحوار، من خلال السؤال والجواب، مع الإلمام المعرفي بالموضوع الذي يباشر الخطيب كلامه فيه، وأن يحسن التصنيف والتجنيس والتقسيم، والقدرة على التنظيم والترتيب وأن يتجنب الخلط، فالجدل عند أفلاطون -الذي استخلصه من الحوار الذي دار بين أستاذه سقراط وبين فيدروس أثناء مناقشتهما لمقالة لوسياس حول الحب- يتم وفق طريقتين، الأولى تعتمد على "جمع الكثرة المبعثرة في مثال واحد بفضل النظرة الشاملة حتى يمكننا الوصول إلى تعريف يوضّح الموضوع الذي نريد معرفته" (أفلاطون، ص93)، أي بتقديم تعريف وتصور شامل للموضوع المراد مناقشته من خلال جمع الكثرة المشتتة في فكرة واحدة، مثلما ناقش سقراط المقالة التي استخرجها فايدروس من ثيابه، وهي من تأليف الخطيب السفسطائي لوسياس والتي كان موضوعها "باسم حديث الحب (Eroticus)، وفي هذا الحديث مذمّة للحب ودعوة من لوسياس لتجنب الإنسان الخضوع لتأثير من كان مهووسا في حبه، هذا الحديث لم ينل إعجاب سقراط ولا تقديره ولذلك يطلب منه فايدروس أن يأتي بِمِثله، فيفعل سقراط ذلك مظهرا براعة تفُوق حديث لوسياس" (أفلاطون، ص24)، فيُنشئُ مقالا في ذم الحب وانتقاصه-على منوال لوسياس- ثم يتراجع عن موقفه هذا فينشئ كلاما آخر يشيد فيه بسموّ الحب ويمدح العاشق، ويبقى الحديث منصبا على موضوع واحد هو الحب محاولا جمع شتاته، ثم بعد ذلك تأتي الطريقة الثانية التي تعتمد تقسيم "الموضوع إلى أنواع، وذلك مع مراعاة تفاصيله الطبيعية والحذر من كسر أي جزء منها حتى نتجنب طرق النحّات الرديء" (أفلاطون، ص94)، فلا يقودنا هذا التقسيم إلى الإخلال بخصائص الموضوع المطروح للمناقشة، وفي هذه المحاورة -فايدروس- يقسّم أفلاطون موضوع الهوس (Mania) إلى نوعين: إلهي وإنساني ثم يتفرع الإلهي إلى هوس الحب، وهوس النبوءة، والهوس الصوفي،

والهـوس الإلهامـي الخـاص بالشـعراء" (أفلاطـون، ص24)، ثـم يقسّـم هـوس الحـب إلى جزءيـن: مذمـوم ومحمـود، وبـكل جـزء منهـما أجـزاء تحمـل نفـس الاسـم (الحـب)، أي إن هـذه الطريقـة في الجـدل تسـير عكـس الأولى -التـي تعمـل عـلى جمـع الكـثرة المشـتتة للوصـول إلى فكـرة وتصـور واحـد للموضـوع-، فإنهـا تعتمـد عـلى تجزئـة الفكـرة الواحـدة إلى الأنـواع التـي تدخـل فيهـا.

2.2. معرفة أنواع النفوس وما يناسبها من أقوال

وقـد اعتبرهـا أفلاطـون آليـة مهمـة ينبغـي أن يقـوم عليهـا القـول الخطـاب، ولذلـك اعتنـى في خطابتـه البديلـة بالجانـب النفـسي، إذ الغايـة مـن الجـدل هـي تحقيـق السـعادة للنفـس الإنسـانية والارتقـاء بهـا إلى منـازل الأخـلاق والفضيلـة، ولذلـك ينبغـي أن تعنـى الخطابـة بتربيـة النفـوس وتزكيتهـا، وعليـه يلـحّ أفلاطـون عـلى أن الخطابـة "إن أرادت أن ترقـى إلى مسـتوى الفـن العظيـم فعليهـا أن تـدرس طبيعـة النفـس الإنسـانية، وتعـرف مـا نـوع الأقـوال التـي تؤثـر فيهـا التأثـير الحسـن" (أفلاطـون، ص11)، ومـادام الأمـر كذلـك فلابـد للخطيـب أن يكـون عـلى علـم بأنـواع النفـوس وكـذا الخطابـات المناسـبة لـكل منهـا، ليحقـق التأثـير المنشـود في نفـس المتلقـي أو المسـتمع ويَسـهُل عليـه إقناعـه.

3.2. معرفة ما يناسب المقامات المختلفة من أساليب

أن يسـتخدم الخطيـب أو موجِّـه القـول خطابـه مـع مراعـاة سـياق الـكلام والظـروف الملابسـة لـه، بمعنـى آخـر معرفـة مـا يناسـب المقامـات المختلفـة مـن أسـاليب خطابيـة، أي مراعـاة المقـام والحـال، كـما لابـد عليـه أن يضـع هدفـا لكلامـه.

3. الحجاج عند أرسطو (384 ق م - 322 ق م)

يعـدّ أرسـطو مرجعـا أساسـا في عمليـة الحجـاج بالنسـبة للدراسـات التـي جـاءت بعـده، فأغلـب مؤلفاتـه مثـل الأورغانـون (مجموعـة كتـب أرسـطو في المنطـق)، الجـدل، والخطابـة، والشـعر..، تتجـلى فيهـا أفـكاره الحجاجيـة، وقـد تنـاول الكثـير مـن الظواهـر المتعلقـة بالممارسـة الحجاجيـة، وذلـك مـن خـلال جانبـين متقابلـين هـما الجانـب البلاغي

والجانب الجدلي، حيث قدّم تصورا جديدا للخطابة، معارضا به سابقيه ومعاصريه من خطباء أثينا وأدبائها كالسفسطائيين الذين اعتبر خطابتهم فاسدة.

1.3. مراحل إنتاج القول الخطابي عند أرسطو

إن القول الخطابي أو بالأحرى إنتاجه وإنجازه يتم حسب أرسطو عبر ثلاث مراحل مهمة تتمثل في: - المرحلة الأولى: سماها (Eurésis) وتعرف في اللاتينية (In-ventio) وهي مرحلة البحث عن مواد الحجاج، ولم يستعمل الشراح من فلاسفة العرب كلمة مخصوصة توافق المصطلح الأرسطي، أما بدوي فاستعمل في ترجمته عبارة (مصادر الأدلة).

- المرحلة الثانية: سماها أرسطو (Taxis) وتعرف في اللاتينية (Dispositio) وقد استعمل الشراح من فلاسفة العرب كلمة (ترتيب) مقابلا لها، أما بدوي فاستعمل في ترجمته عبارة (ترتيب أجزاء القول).

- المرحلة الثالثة: وسماها أرسطو (Lexis) وتعرف في اللاتينية (Elocutio) وقد استعمل ابن رشد كلمة (فصاحة) مقابلا لها، واستعمل ابن سينا في مقابلها عبارة (التحسينيات واختيار الألفاظ للتعبيرات) أما بدوي فاستعمل كلمة (أسلوب الريفي، ص 174-173).

وقد قسّم أرسطو القول الخطابي -حسب المواضيع- إلى ثلاثة أنواع: "مُشاوري ومُشاجري وتثبيتي (أرسطو، 1979، ص17)، فأما المشاوري فمنه إذْن ومِنه مَنْع، فإن الذين يشيرون في الخواص والذين يشيرون في العوام إنما يفعلون أبدا واحدة من هاتين، وأما المشاجري فمنه شكاية واعتذار، فإن الذين يتشاجرون لا محالة إنما يفعلون واحدة من هاتين، وأما التثبيت فمنه مدح وذم، وذكر غاية كل نوع منها جانبا من الأهداف المنشودة للمجتمع الأثيني.

2.3. الخطابة والحجاج الأرسطي

لقد طرح أرسطو تصورا جديدا للخطابة مستفيدا في ذلك من دراسات سابقيه، وفي الوقت ذاته متجاوزا إياها، فقد انتقد الآراء التي تعتبر الغاية من الخطابة

هـي مجـرد التأثـير في مشـاعر المتلقـين دون اقتنـاع، واعتبرهـا خطـرا عـلى قيـم المجتمـع. يعـرّف أرسـطو الخطابـة فيقـول: "فالريطوريقـة قـوة تتكلـف الإقنـاع الممكـن في كل واحـدة مـن الأمـور" (أرسـطو، 1979، ص09). فـلا تبقـى الخطابـة مجـرد وسـيلة للتلاعـب بالانفعـالات النفسـية ومخاطبـة المشـاعر، بـل هـي كـما قـال أرسـطو:

"الريطوريقـة (الخطابـة) ذات غنـاء ومنفعـة" (أرسـطو، 1979، ص07)، فـلا بـد أن ترتبـط بالنفعيـة أو البراغماتيـة لمـا تنشـده مـن تأثـير إيجـابي لـدى المتلقـي، وذلـك مـن خـلال القصـد بهـا إلى الإقنـاع، يقـول أرسـطو: "قـد اسـتبان إذن أن الريطوريقـة ليسـت جنسـا لـشيء واحـد مفـرد، لكنهـا بمنزلـة الديالقطيـة (الجـدل) وأنهـا جـد نافعـة، و أنـه ليـس عملهـا أن تقنـع لكـن أن تعـرّف المُقنِعـات في كل أمـر مـن الأمـور كـما يوجـد في صناعـات أخـر (أرسـطو، 1979، ص08)، أي البحـث عـن الوسـائل الملائمـة لإقنـاع المتلقـين، و"يميّـز أرسـطو بـين الوسـائل الإقناعيـة الخارجيـة التـي تعتمـد عـلى أدوات موجـودة، مثـل القوانـين أو المسـتندات، وبـين الوسـائل الإقناعيـة الداخليـة التـي تعتمـد عـلى المهـارات الإبداعيـة للمتكلّـم) فـان إيمـرن، وغروتندروسـت، 2016، ص61). إضافـة إلى ذلـك فقـد كانـت الخطابـة الأرسـطية معتمـدة عـلى ثـلاث دعائـم وأبعـاد في علاقـة متكاملـة لتحقيـق القـول الخطـابي هـي: الإيثـوس والباثـوس واللوغـوس:

"- الإيثـوس Ethos: يصـف الخصائـص المتعلقـة بشـخصية الخطيـب، والصـورة التـي يقدمهـا عـن نفسـه.

- الباثـوس Pathos: يشـكل الباثـوس مجموعـة انفعـالات يرغـب الخطيـب في إثارتهـا لـدى مسـتمعه.

- اللوغـوس Logos: يمثـل اللوغـوس الحجـاج المنطقـي الـذي يمثـل الجانـب العقـلاني في السـلوك الخطـابي، ويرتبـط بالقـدرة الخطابيـة عـلى الاسـتدلال والبنـاء الحجاجـي (طـروس، 2005، ص 18)، وبالتـالي نسـتنتج مـن هـذا أن أرسـطو اهتـم في العمليـة الخطابيـة بالمتكلـم أو القائـل، ومـا يشـترط فيـه مـن أوصـاف وخصائـص، والمسـتمع أو المقـول إليـه الـذي ينشـد المتكلـم التأثـير فيـه وإقناعـه، وكـذا القـول الخطـابي الموافـق

للموضوع، والمعتمد على الاستدلال والبناء الحجاجي لتحقيق عمل التأثير والإقناع.

3.3. أهم أدوات الحجاج عند أرسطو

اهتم أرسطو بالأدوات الحجاجية لما لها من دور في تحقيق الإقناع لدى المتلقي، فقد عني بالاستدلال وميّز بين أنواع الحجج.

1.3.3. الاستدلال الحجاجي (Raisonement)

عرّف أرسطو الاستدلال بأنه "تفكير عقلي بواسطته يتم إنتاج العلم (أعراب، 2001، ص 126)، ومنَحه أهمية في الممارسة الحجاجية، وحرص على دراسة قواعده المنتجة للقول الخَطابي لما له من دور في إيصال الفكرة إلى المتلقي وإقناعه، وذلك باستخلاص النتيجة انطلاقا من مقدمات تربط بينها علاقات منطقية عقلية، وذلك أن الاستدلال هو طلب الدليل "وهو قول مؤلف من أقوال إذا سُلِّم به لزم عنها بالضرورة قول آخر" (أعراب، 2001، ص 126)، فالاستدلال بالنسبة لأرسطو أصبح يمثل أنموذجا في الخطاب الحجاجي، كما درس الأشكال المختلفة للاستدلال كالقياس (Sylogisme)، والاستقراء (Induction)، والمثال (Example)، فالاستدلال إذن يساعد في الحكم على الأقاويل المختلفة سواء التي ننتجها أو التي تعرض علينا.

2.3.3. الحجج وأنواعها

لقد أولى أرسطو العناية بالحجة – إضافة إلى الاستدلال- وميّز بين نوعين من الحجج:

1.2.3.3. الحجج الصناعية

"وهي التي تكون بالصناعة أي ما أمكن إعداده و تثبيته على ما ينبغي بالحيلة، وبأنفسنا (أرسطو، ص 9)، فهذه الحجج أو التصديقات -كما يسميها أرسطو- هي في متناول الخطيب، وتحت تصرفه يختار منها ما يشاء بفكره وحيلته، فهو يصنعها ويصوغها وفق ما يقتضيه حال المتلقي مستعملا في ذلك عقله ومنطقه، بهدف تحقيق أهداف منطقية، يقول أرسطو: "فأما التصديقات التي نحتال لها بالكلام فإنها أنواع ثلاثة : فمنها ما يكون بكيفية المتكلم وسمته، ومنها ما يكون بهيئة

السامع واستدراجه نحو الأمر، ومنها ما يكون بالكلام نفسه قبل التثبيت، فأما بالكيفية والسمت فأن يكون الكلام بنحوٍ يجعل المتكلم أهلا أن يصدَّق ويُقبل قوله (أرسطو، ص 10-9).

2.2.3.3. الحجج غير الصناعية

الأدلة غير المصنوعة، ويعرفها أرسطو بأنها: الحجج "التي ليست تكون بحيلة منا، لكن بأمور متقدمة (أرسطو، ص09)، فهذه الحجج لا تدخل تحت حيلة أو تصرّف الخطيب مثل الشهود في القضية، والاعترافات المستخلصة بالتعذيب وما أشبه ذلك فلا يمكن اختيارها ولا جمعها.

كما نجد أرسطو أيضا يميّز بين الحجج الخاصة (preuves particulières)، والحجج المشتركة (preuves communes)، "فإذا كانت الحجج الفرعية والتي هي حجج مساعدة للخطيب على بناء حجاجه وتوجيهه، فإن الحجج المشتركة هي المؤسسة للحجاج بمختلف فروعه وأنواعه، وبالتالي تكون هذه الحجج أشمل من الأولى وتتضمنها، والحجج المشتركة في نظر أرسطو ثلاث: الضمير والرأي والمثال، ولكنه يختزلها في الضمير والمثال، لأن الرأي مشمول في الضمير (الأمين، ص 46) بحيث لكل منها مجاله ومقامه.

4.3. أنواع الحجاج عند أرسطو

يميز أرسطو بين أنواع من الحجاج نذكر منها نوعين: الجدلي والخطابي.

1.4.3. الحجاج الجدلي

لقد بحث أرسطو في الجدل وما يتصل به من أقوال حجاجية، واعتبره مبحثا فكريا وسمة مميزة للفلاسفة والنخبة، ويعرّفه بكونه: "علم الاستدلال المنطقي ولكنه مع ذلك يخالف البرهنة من جهة انطلاقه من مقدمات صادقة ضرورية (الدريدي، 2008، ص 18)، كما اعتبر أرسطو الجدل قولا حجاجيا يُستخدم لامتحان المسائل الفكرية الخلافية المتعلقة بالمشهورات والمسلّمات انطلاقا من مقدّمات متفق عليها، وآراء مسلّم بها مرتكزا في ذلك على آليات الاستدلال، فيكون الأمر

متعلقا بفحص قضايا فكرية مختلف فيها يسعى فيها كل طرف لإثباتها بينما يسعى الآخر لإبطالها، فهذا النوع من الجدل تواصلي بالأساس يدور بين سائل ومجيب، "كما أن لمقام الجدل -أيضا- دورا في اختيار أنواع الحجج ومراحل إيرادها ودرجات كثافتها، وفي تحديد مدتها تبعا لطباع المتجادلين وتخصصاتهم (فلاسفة، علماء، مهندسون، أدباء، فنانون، مواطنون عاديون)" (الأمين، ص44).

فما دام فيه نفي وإثبات فإنه يقتضي مشاركة طرفين وتعالج فيه مسائل خلافية ولذلك فطبيعته تخاطبية حوارية، بحيث يقتصر نجاح كل منهما بحسب تحكمه في آليات الاستدلال والاستقراء والقياس، والمنطق والقضايا الفكرية، وكذلك تمكّنه من الوسائل اللغوية والبلاغية والحجج القوية ..، حيث يسهم الطرفان المتنازعان في بناء القول الحجاجي، ويتقاسمان الجدال من خلال السؤال والجواب، بحيث يلعب السائل دورا مهما في توجيه مسار الحجاج، وقد ميّز أرسطو بين الجدل والخطابة، فاعتبر " الجدل يهتم بالحجج المستخدمة في المناظرات أو في الحوار مع مخاطَب واحد، بينما تتعلّق الخَطابة بالحجج المستخدمة في الخطب، التي تُلقى في ساحة عمومية أمام حشد من الناس غير مختصين وعاجزين عن تتبع استدلالات استدلالية" (بنو هاشم، 2014، ص 35).

لقد أولى أرسطو في هذه العملية التواصلية اهتماما كبيرا بأطرافها (القائل -القول- المقول إليه) باعتبارها عناصر الحجاج الخطابي، وبالتالي فالجدل عند أرسطو مؤسس على " خطة حجاجية يتم من خلالها استدراج المعني إلى التسليم بمضمون المقدمات والنتائج" (بنو هاشم، 2014، ص 53).

2.4.3. الحجاج الخطابي

لقد سعى أرسطو إلى تخليص الخطابة من التشويه والتزييف والتملق السفسطائي، باعتبار مكانتها وقوتها في المجتمع، ويؤكد أرسطو على أن الحجاج حاضر في الخطابة كما في الجدل، وأن "الخطابة قوة تتكلف الإقناع الممكن" (أرسطو، ص9)، فقد اهتم في كتابه (الخطابة) بالإقناع وأدواته، واعتبر الخطابة حجاجا إقناعيا معقولا يهدف

إلى بناء الاعتقاد، ومن ثم تحريك السلوك والعمل، فهي التي تضمن النفع للقيم الاجتماعية والسياسية والأخلاقية، وتحقيق مجتمع فاضل من خلال ما تتضمنه من حمالة إيديولوجية سواء أكانت مشاجرية أو تثبيتية أو مشاورية، بعد أن كانت في نظر السفسطائيين تهدف إلى التأثير دون اقتناع، وبناء على ذلك ركز أرسطو واعتنى بكل ماله علاقة بمجريات هذا النوع من القول (الحجاج الخطابي)، فقد تتبع جميع مراحله، فأولى اهتماما بالخطيب وصفاته وما يشترط فيه من خصائص، بأن يبدأ "بمرحلة البحث عن مواد الحجاج ومصادر الأدلة، ثم مرحلة ثانية هي ترتيب أجزاء القول، ثم المرحلة الثالثة التي تتعلق بالأسلوب من حيث اختيار الألفاظ والمحسنات، فالمواد الحجاجية والأدلة متخفية وغائبة وعلى المتكلم أن يجد ما يناسب موضوعه" (الأمين، ص56). ومادام هذا الخطاب يوجّه إلى جمهور معين فلابد من الخطيب أن يراعي خصائص هذا الجمهور ومقامه مسبقا، وبالتالي "يتوجه إليهم باستدلالات إقناعية محددة يسعى من ورائها لدفعهم إلى الفعل" (الأمين، ص53). فتحديد الخطبة مرتبط بتحديد الجمهور المتلقي، وبالتالي لابد أن تراعى جميع مراحل هذه الصناعة، فالحجاج الخطابي عند أرسطو هو محصلة ثلاثة أركان هي القائل والقول والمقول إليه.

خاتمة

مما سبق ذكره يمكننا أن نستخلص أهم النتائج التي توصل إليها بحثنا في موضوع الحجاج في البلاغة اليونانية من وجهة نظر التيارات الفلسفية الثلاثة وهي كالآتي:

- السفسطائية حركة فلسفية حجاجية نتج عنها ما يعرف بالحجاج السفسطائي الذي له طريقته واستراتيجيته وآلياته، وكذا أهدافه الخاصة من خلال التمكن من تقنيات الخطاب والقول، بحيث يمكن اعتبارها النواة الأولى لنشأة الخطاب الإقناعي، ولئن قوبلت السفسطائية بانتقادات لاذعة من طرف الفلاسفة اليونان، الذين اشتغلوا ضمن حيّز هام بالإجابة

والـرد عـلى الكثـير مـن المعضـلات الفلسـفية والمجـادلات الفكريـة، التـي طرحهـا السفسـطائيون نظـرا لارتباطهـا بالمغالطـة والنسـبية، والتبكيـت والشـك والتناقض، فـإن السفسـطائية سـاهمت ببلاغتهـا في تحريـك التفكـير الفلسـفي ودراسـة القـول، فقـد احتفـت البلاغـة الحديثـة بميراثهـم البلاغـي، وأعـادت التصالـح مـع ممارسـاتهم ومؤلفاتهـم، وذلـك لمـا أضافتـه مـن اسـتراتيجيات وتقنيـات فعّالـة للـدرس الحجاجـي والبلاغـة الإقناعيـة الحديثـة والمعـاصرة.

- الصيغـة الجديـدة للخطابـة الأفلاطونيـة -التـي عالجهـا في محـاورتيْ جورجيـاس وفيـدروس- تنطلـق مـن نقـض الخطابـة السفسـطائية التـي اعتبرهـا متعارضـة مـع الفلسـفة، ومؤذيـة للمُثُـل ومُخِلّـة بقيـم المجتمـع الأثينـي (المدينـة الفاضلـة)، كـما تسـعى هـذه الصيغـة إلى جعـل الخطابـة مؤطَّـرة بالفلسـفة، واعتبارهـا صناعـة ذات قواعـد وأسـس مضبوطـة، وغايـات قِيميّـة تنبـع مـن تصـور فلسـفي عقـلاني مجـرّد، يهـدف إلى تحقيـق العـدل وتكريـس الفضيلـة وبلـوغ الحقيقـة، كـما تُلـحّ عـلى مراعـاة حـال المتلقـي ونفسـيته، وتشـترط عـلى الخطيـب تمَكُّنَـه مـن آليـات الجـدل -الـذي يبنـي الحقائـق و يعقـد الاسـتنتاجات-، ومعرفتـه بأنـواع النفـوس ومـا يناسـبها مـن خطابـات.
- قـدّم أرسـطو مـن خـلال كتابـه "الخطابـة" تصـورا جديـدا لمفهـوم الخطابـة، مفهـوم يتجـاوز مـا طُـرح قبلـه، وقـد مـارس الحجـاج مـع السفسـطائيين وبـيّن خداعهـم وتملّقهـم، وسـعى إلى وضـع أنمـوذج حجاجـي كان قاعـدة وأساسـا تنبنـي عليـه الممارسـات الحجاجيـة سـواء في جنـس الجـدل أو الخطابـة، وشـمل كل العمليـة القوليـة سـواء بـين السـائل والمجيـب (الجـدل) أو بـين الخطيـب وجمهـوره (الخطابـة)، وقـد وضـع مكونـات قامـت عليهـا مـا تسـمى ببلاغـة الخطـاب الإقناعـي.
- تَركّـز الانشـغال النظـري بالـدرس الحجاجـي في العهـد اليونـاني القديـم عـلى منطـق القيـاس والجـدل والخطابـة.

قائمة المصادر والمراجع

باللغة العربية:

- أرسطو، الخطابة، تر: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979.
- حبيب أعراب، "الحجاج والاستدلال الحجاجي"، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع1، مج30، يوليو -سبتمبر 2001.
- أفلاطون، جمهورية أفلاطون، تر: حنا خباز، دار القلم، بيروت، ط 2، 1980.
- أفلاطون، فايدروس أو عن الجمال، تر: أميرة حلمي مطر، دار غريب، القاهرة، ط1، 2000.
- أفلاطون، محاورة جورجياس، تر: محمد حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر، 1970
- فيليب بروتون وجوتييه جيل، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط1، 2011.
- كريستيان بلانتان،الحجاج، تر: عبد القادر المهيري، دار سيناترا، تونس، ط 3 ،2010.
- ليونيل بلينجر، "الآليات الحجاجية للتواصل"، تر: عبد الرفيق بوركي، مجلةعلامات، المغرب،ع21، 2004.
- الحسين بنوهاشم، نظرية الحجاج عند شاييمبيرلمان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، ط 1، 2014.
- لحسن توبي، الحجاج والمواطنة من المعرفة الأكاديمية إلى ترسيخ القيم الديموقراطية، دار رؤية للنشر، القاهرة، ط1، 2014.
- عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية -دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي-، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2014.
- جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2014.
- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم -بنيته و أساليبه-، عالم الكتب

الحديـث، الأردن، ط1، 2008.
- هشـام الريفـي، الحجـاج عنـد أرسـطو، ضمـن كتاب: أهـم نظريـات الحجـاج في التقاليد الغربيـة مـن أرسـطو إلى اليـوم، المطبعة الرسـمية للجمهورية التونسـية، 1998.
- حـمادي صمـود، مقدمـة في الخلفيـة النظريـة للمصطلـح، ضمـن كتـاب: أهـم نظريـات الحجـاج في التقاليـد الغربيـة مـن أرسـطو إلى اليـوم، المطبعـة الرسـمية للجمهوريـة التونسـية، 1998.
- عبـد اللـه صولـة، في نظريـة الحجـاج -دراسـات وتطبيقـات-، مسـكيلياني للنـشر، تونس، ط 1، 2011.
- محمـد طـروس، النظريةالحجاجيةمـن خـلال الدراسـات البلاغيـة والمنطقيـة واللسـانية، دار الثقافـة، الـدار البيضـاء، ط1، 2005.
- محمـد سـالم محمـد الأمـين الطلبـة، الحجـاج في البلاغـة المعـاصرة، دار الكتـاب الجديـد المتحـدة، لبنـان، ط 1، 2008.
- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، ط 1، 2013.
- فرانـز فـان إيمرنوروبغروتندروسـت، نظريـة نسـقية في الحجـاج -المقاربـة الذريعيـة الجدليـة-، تـر: عبـد الحميـد جحفـة، دار الكتـاب الجديـد المتحـدة، لبنـان، ط 1، 2016.
- محمد مشبال، البلاغة والخطاب، دار الأمان، الرباط، ط 1، 2014.

باللغة الأجنبية:

- Platon: protagoras-Euthymède-Grgias-Ménexène-Ménon-Cratyle, Traduction, notices et notes par Emile Chabry, Paris, GF-Flammarion, 1967.
- Reboul (Olivier), Introduction a la rhétorique, 4e édition, Paris, P.U.F (Presses Universitaires de France) 2001